التركيز على العقل أولاً، ثم الذكاء الاصطناعي ثانياً، لبناء قدرات أفضل[1]

Adam Danyal

تشير دراسة جديدة أجراها معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا إلى قاعدة عملية لكيفية استخدام الذكاء الاصطناعي في الأعمال التي تعتمد على التفكير والكتابة والحكم. في التجربة، كتب الطلاب مقالات ضمن وقت محدد بثلاث طرق: باستخدام تفكيرهم فقط، أو باستخدام محرك بحث جوجل، أو باستخدام برنامج ChatGPT. ثم قارن الباحثون المقالات ونشاط أدمغة الطلاب أثناء الكتابة. لم يقتصر التغيير على عملية الكتابة فحسب، بل شمل عمق التفكير الكامن وراءها.

أظهرت مجموعة ChatGPT أضعف نمط لنشاط الدماغ. بينما أظهرت المجموعة التي اعتمدت على تفكيرها فقط أقوى نمط، وجاءت مجموعة البحث في المنتصف. كما أفادت مجموعة ChatGPT بأدنى شعور بالملكية لما كتبوه، وواجهوا صعوبة في اقتباس مقالاتهم بدقة بعد ذلك. ساعدت الأداة في إنتاج الكلمات على الصفحة، لكن الارتباط بتلك الكلمات كان أضعف.

يصف الباحثون هذا الوضع بـ"الدين المعرفي"، أي توفير الجهد الآن ودفع ثمنه لاحقًا بضعف الذاكرة وقلة التفكير. هذه العبارة تلخص المقايضة بوضوح. يأتي المكسب أولاً لأن المهمة تبدو أسهل وأسرع. لكنّ التكلفة تظهر لاحقًا، عندما يضعف الاسترجاع، ويقلّ الفهم، ويحتفظ الشخص بجزء أقل من العمل المنجز.

ظهرت أهم النتائج في جلسة المتابعة. فالطلاب الذين بدؤوا باستخدام ChatGPT ثم انتقلوا إلى العمل الذهني فقط، أظهروا تفاعلاً أقل. في المقابل، أظهر الطلاب الذين بدؤوا بتفكيرهم الخاص واستخدموا ChatGPT لاحقًا استرجاعًا أقوى ونشاطًا دماغيًا أكبر. كان التسلسل هو المشكلة الحقيقية. بدا أن البدء بالذكاء الاصطناعي يُشكّل المهمة بطريقة يصعب عكسها تمامًا بمجرد إزالة الأداة.

يتوافق هذا النمط مع ما أظهرته أبحاث التعلّم لسنوات. يتذكر الناس المعلومات بشكل أفضل عندما يُنشئونها بأنفسهم بدلاً من مجرد قراءة شيء مكتوب مسبقًا، ويحتفظون بمعلومات أكثر عندما

[1] Adam Danyal, Brain First, AI Second Builds Better Capability, AI for Leaders, Link.

يسترجعونها بنشاط من الذاكرة بدلاً من مراجعتها بشكل سلبي. المبدأ العام واضح: الجهد ليس مجرد تكلفة في العمل المعرفي، بل هو جزء من كيفية بناء الفهم.

بالنسبة للقادة، فإنّ لهذا الأمر دلالة عملية. قد تبدو عملية البدء بالذكاء الاصطناعي فعّالة لأنها تُزيل أصعب جزء في العديد من المهام، وهو البدء. لكن عندما تبدأ الأداة بالعمل، قد تُزيل الجهد الذهني الذي يُساعد الأفراد على فهم ما يُنتجونه وتذكّره والدفاع عنه. وهذا يُؤدي إلى انخفاض الإنتاجية. قد يُنتج الفريق محتوىً أكثر، لكنه يحتفظ بجزء أقل من التفكير الكامن وراءه. هذا هو الخطر الذي تُسلط الدراسة الضوء عليه.

لا تُعارض الدراسة استخدام ChatGPT، بل تُشجع على استخدامه لاحقًا. الأسلوب الأمثل هو التفكير أولاً، ورسم مُلخص الحجة، وصياغة المخُطط، أو القيام بالمسودة الأولى بشكل فردي، ثم الاستعانة بالذكاء الاصطناعي لتحسين الصياغة أو اختبار المنطق. هذا يُبقي الجزء الأساسي من العمل ضمن قدرات الفرد، مع الاستفادة من سرعة الأداة. كما يتوافق هذا مع أقوى نتائج الدراسة: كان أداء الأفراد أفضل عندما كان تفكيرهم هو الأساس.

هذا يُعطينا قاعدة تشغيلية واضحة: اطلب من الأفراد القيام بالمستوى الأول من التفكير قبل فتح النموذج. استخدم الذكاء الاصطناعي لتحسين العمل الذي يُبني الفهم، لا استبداله. قيّم استخدام الذكاء الاصطناعي ليس فقط من خلال سرعة ظهور الكلمات على الصفحة، بل أيضًا من خلال قدرة الأفراد على شرح ما كتبوه، وتذكّر حججهم، والدفاع عنها دون أن تقوم الأداة بالتفكير نيابةً عنهم. إن إعطاء الأولوية للعقل ثم الذكاء الاصطناعي هو طريقة أفضل لاستخدام الذكاء الاصطناعي دون إضعاف القدرة البشرية التي تمنح العمل قيمته.

Sources:

arXiv, Your Brain on ChatGPT: Accumulation of Cognitive Debt when Using an AI Assistant for Essay Writing Task — arxiv.org
Memory & Cognition, The Generation Effect: A Meta analytic Review — springer.com
Trends in Cognitive Sciences, The Critical Role of Retrieval Practice in Long term Retention — sciencedirect.com